

أوضاع في ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي.

الاسم: نبيل .
اللقب: لرعر.
استاذ بجامعة أبي بكر بلقايد .
تلمسان، قسم التاريخ.

مقدمة :

ألحقت طرابلس الغرب¹ بالدولة العثمانية عام 1551 كإيالة عثمانية ، فارتبطت بالباب العالي حتى سنة 1711 حين استقل بها أحمد باشا القرماني مؤسساً بذلك عهد الأسرة القرمانية واضطر السلطان العثماني للاعتراف بسلطته على تبعية اسمية للباب العالي ، بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 ظهر أمام الدولة العثمانية خطر الدول الأوروبية على إيالات المغرب العربي دفع بالعثمانيين إلى إعادة سيطرتهم على إيالة طرابلس الغرب بمجيء الأسطول العثماني بقيادة نجيب باشا قائد البحرية إلى ميناء طرابلس سنة 1535 والقضاء على حكم الأسرة القرمانية ، وبدأ بذلك العهد العثماني الثاني في طرابلس الغرب واستمر لغاية 1911 ، تزامن هذا العهد مع ضعف الدولة العثمانية وازدياد موجة التوسع الاستعماري في شمال إفريقيا ، حيث كانت الجزائر قد احتلت سنة 1830 من قبل فرنسا ، التي قامت بعدها بفرض الحماية على تونس 1881 ، واحتلال بريطانيا لمصر 1882، فبات واضحا الخطر على إيالة طرابلس الغرب ، ومن هنا نطرح الإشكالية التالية : هل تم تحصين إيالة طرابلس الغرب أواخر القرن التاسع عشر من خطر الاستعمار الأوروبي ؟

وتندرج عن هذه الإشكالية التساؤلات التالية : ماهي الأوضاع العامة التي ميزت ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي ؟ وهل اهتمت الدولة العثمانية بما بعد استعادتها خاصة بعد تعرض الإيالات المجاورة للاستعمار الأوروبي ؟

1- الأوضاع السياسية :

مع تأزم العلاقات الجزائرية الفرنسية في الفترة ما بين (1827-1830) ، والوصول بعدها إلى مرحلة محاصرة القوات الفرنسية ميناء الجزائر ثم نزول هذه القوات فيه سنة 1830 م ، فظهر أمام الدولة العثمانية خطر الدول الأوروبية على ولايات المغرب العربي ، وجاءت بعدها حرب الشام التي توغلت فيها القوات المصرية شمالا حتى الأناضول ، وهددت فيها عاصمة الدولة العثمانية ، وكان نمو

خطر محمد علي في مصر ، ونزول قوات الدول الأوروبية في شمال إفريقيا قد دفع بالعثمانيين إلى إعادة سيطرتهم على نيابة طرابلس خاصة بعد ازدياد التنافر بين الأمراء والباشاوات القرمانيين² . عاد الحكم العثماني المباشر إلى ولاية طرابلس الغرب بانتهاء حكم الأسرة القرمانية التي كانت تتمتع باستقلال شبه كامل عن الدولة العثمانية ، بعد أن سارع السلطان العثماني بإرسال أسطول يتكون من 22 قطعة حربية بقيادة مصطفى نجيب باشا الذي وصل ميناء طرابلس في 26 ماي 1835 ، وتم بذلك القبض على علي باشا القرماني وقرأ فرمان بإنهاء حكمه³ .

تولى شؤون طرابلس الغرب بين 1835 و 1911 وهي السنة التي هاجمت فيها إيطاليا ليبيا، ثلاثة وثلاثون واليا ، منهم ثلاثة حكموا نحو ثلاثين سنة ، و أما الباقون فقد كان معدل كل ولاية الواحد منهم أقل من سنة ، فلم يكن باستطاعة هؤلاء القيام بعمل جدي في الولاية، يضاف إلى ذلك أن الكثيرين من هؤلاء الولاة لم يكونوا مقتدرين ، ولم يكن لديهم القوة الكافية للقضاء على ثورات الأهالي ، ولم تكن الإرادة السياسية في عاصمة السلطنة حادة في عنايتها بطرابلس الغرب ، كما أن الدول الأوروبية لم تتوقف عن التدخل بشؤونها لا في طرابلس فحسب ولكن في عاصمة السلطنة أيضا⁴ .

سوف الولاة العثمانيون كل وقتهم في ولاية طرابلس الغرب في محاولات مستمرة للقضاء على ثورات أهل البلاد لاسيما تلك التي قامت في معظم أنحاء الولاية فقد تزعم عثمان آغا الثورة في مصراتة ، وفي يفرن في الجبل الأخضر فقد كان قائد الثورة غومة المحمودي ، وفي فزان عبد الجليل سيف النصر ، وكانت هذه الثورات مظهرا من مظاهر حب الحرية لدى القبائل العربية في ليبيا ، ورفض الخضوع للسيطرة الأجنبية ، ونجحت في إجهاد سلطة الحكومة العثمانية في الولاية وإضعافها⁵ .

وقد تأثرت الأوضاع السياسية في ليبيا حيث اقتصرت سلطة الوالي على المدن الساحلية وتركت بقية المناطق تسير شؤونها ، ونتيجة لضعف الدولة العثمانية فقد ضعف التصدي للتدخل الأجنبي في البلاد بتنظيم الحدود لليبيا إلا أن الأمن والاستقرار بدأ يضطرب داخل ليبيا ، وقد برزت العصبية القبلية وحدثت تحالفات بين القبائل ويبدو أن ذلك قد ساهم في تدريب الليبيين على استخدام الأسلحة المتوفرة في ذلك الوقت⁶ .

قسمت الإدارة العثمانية خلال هذه المرحلة ولاية طرابلس الغرب إلى قسمين : ولاية طرابلس وعلى رأسها الباشا أو الوالي ، ومتصرفية بنغازي⁷ وهي أدنى مستوى من ولاية طرابلس ، كما أدخلت الدولة العثمانية النظام القضائي العثماني إلى المنطقة ، إلا أن تطبيق هذا القانون ظل اسميا ، كما أن نفوذ السلطة العثمانية لم يستطع الوصول إلى المناطق الداخلية من البلاد مما جعل الأعراف والتقاليد القانون الوحيد الذي يخضع له سكان المنطقة⁸ .

وفي خلال هذه الفترة من تاريخ طرابلس الغرب انتشر السخط بين الأهالي ، فإن التنظيمات العثمانية التي صدرت مند نهاية الثلث الثاني من القرن 19 كانت تقوم على تدعيم النظام المركزي وتشديد قبضة الدولة على ولاياتها وإلغاء ما كانت تتمتع به قبل ذلك من امتيازات ، خصوصا وأن ذلك في نظر الدولة هو الوسيلة الفعالة لمواجهة الأخطار الاستعمارية ، ولذلك فإن الحكم العثماني في طرابلس الغرب كان يتسم خلال هذه الفترة بالمركزية رغم أن النظام المركزي كان الأنسب بحكم موقع الولاية⁹.

ومن سمات هذه الفترة من الحكم العثماني ازدياد النشاط الأوروبي في طرابلس إذ حاول القنصل الأوروبيون في هذه الولاية مثلما فعلوا في ولايات الدولة العثمانية عامة استغلال امتيازاتهم بحيث صار لهم دور كبير في إدارة الولاية ، ومن إجراءات الدولة العثمانية للحد من نفوذ هؤلاء القناصل ، هو تحديد السلطان عبد الحميد¹⁰ لخصائص قناصل الدول الأجنبية وإبلاغ الولاة بالقاعدة العمومية التي يجب اتخاذها في العلاقات بين مأموري الولايات والقناصل والسفراء¹¹.

كان اهتمام آخر الولاة الأتراك موجهها بصفة خاصة إلى عرقلة التدخل الأجنبي في طرابلس الغرب وبرقة¹² ، وحماية الحدود إلى أبعد حد ممكن من التغلغل الأنجلومصري في الشرق ، والفرنسي في الغرب والجنوب ، وعرقلة التغلغل السلمي الإيطالي بكل الطرق¹³.

قامت جمعية الإتحاد والترقي سنة 1908 بخلع السلطان عبد الحميد الثاني متواطئة في ذلك مع اليهود¹⁴ ، وقد نتج عن ذلك وصول الاتحاديين إلى السلطة على كل من الولايات الليبية الثلاثة طرابلس برقة وفزان¹⁵.

لقد استقبل الأهالي في طرابلس الغرب الانقلاب على السلطان عبد الحميد وقيام الحكم الدستوري سنة 1908 بترحيب و أمل ، فقد اعتبروه بداية عهد جديد من الإصلاح ، شأنهم في ذلك شأن بقية العرب في أقاليم الدولة العثمانية ، ولكن لم يلبث أن خاب أمل أهل طرابلس بسياسة الاتحاديين الذين اتبعوا الأسلوب المركزي في الحكم وعينوا في الولاية موظفين غرباء عنها رغم المطالبة بأن يكون الموظفون من أهل الولاية يعرفون لغتها ، وكانت عدم معرفة الموظفين بلغة البلاد مثار شكوى الأهالي الذين كان عليهم أيضا أن يكتبوا معاملاتهم باللغة التركية دون العربية تنفيذا لسياسة التتريك التي كانت إحدى السمات الأساسية لحكم الاتحاديين¹⁶.

كان الوالي حينذاك رجب باشا ، وهو أحد زعماء تركيا الفتاة ، وقد عين وزيرا للحريية في الحكومة الجديدة ، وغادر طرابلس إلى العاصمة العثمانية ، ولكنه لم يلبث سوى مدة قليلة في المنصب حتى توفي فجأة في 16 أوت 1906 ، وقد خلفه على الولاية في طرابلس أمير اللواء محمد علي سامي باشا ، وهو رجل عسكري بعيد عن الشؤون السياسية ، ثم جاء بعده فوزي باشا ، ثم حسن حسني

باشا ثم إبراهيم أدهم باشا الذي عرف بعرقته الجهود والمبادرات الإيطالية ، وقد سافر في 1911 وقام بأعمال الوالي الدفتر دار أحمد سليم بك ، وتم نزول القوات الإيطالية أثناء قيامه بأعباء الدولة¹⁷ .
إن اهتمام الدولة العثمانية بتقوية طرابلس الغرب وتنظيم شؤونها ظهر من جديد مند أعلنت فرنسا حمايتها على تونس ، فاهتمت بتحصينها وزادت الحامية في البلاد ، لكنها اضطرت في عام 1911 قبيل الهجوم الإيطالي لسحب جزء كبير من الجيش و إرساله إلى اليمن لإخضاع الثورة التي قامت فيها¹⁸ .

كان لحقي باشا الذي كان سفيرا للدولة العثمانية في روما دوره في سحب القوات العثمانية ، فبعد أن سأله المسؤولون في الباب العالي حينما حاولوا سحب القوات العثمانية من ليبيا لإرسالها إلى اليمن عن المخاوف من إيطاليا على ليبيا أجاب النفي و أضاف بأنه يمكن للدولة أن تسحب ما تشاء من حامية طرابلس لنجدة اليمن¹⁹ .
وغير هذا كثيرا من أسباب الضعف التي جعلت مركز البلاد ضعيفا في الدفاع سواء من الناحية المادية أو الناحية المعنوية اللهم إلا ما كان من بعض القلاع في العاصمة ، وكانت هذه القلاع لا تمتد إليها يد الإصلاح إلا في القليل النادر²⁰ .

ومازال إهمال الحكومة العثمانية لولايتي برقة وطرابلس يحتاج إلى تفسير فقد أهمل تحصين السواحل مع أن موقف الولاية المتطرف كان يتطلب أجهزة دفاع أقوى ، كذلك شتت القوات العثمانية في الداخل واستحابت وزارة حقي باشا لرغبة الحكومة الإيطالية حينما طلبت إليها عزل والي طرابلس الذي يعرقل نشاط الإيطاليين²¹ .

إن ما ذكره المؤرخون في هذا المجال لم يبلغ عامل الإهمال واللامبالاة التي اتسم بها الحكم العثماني لليبيا ، يضاف إلى ذلك أن العثمانيين كانوا على علم بأطماع إيطاليا في ليبيا ومع ذلك لم تتخذ الدولة العثمانية الإجراءات اللازمة لمواجهة مثل هذا الخطر واقتصرت قواها على حامية طرابلس فقط ، فقد كان في طرابلس في ذلك الوقت 40000 بندقية من النوع القديم ، استرجعتها الدولة العثمانية على وعد بأن ترسل بدلا منها بنادق الموزر من النوع الحديث ، لكنها لم ترسل شيئا²² .

كما يحتمل الباحث الطاهر أحمد الزاوي الدولة العثمانية مسؤوليتها عن سقوط ليبيا في أيدي الإيطاليين ، بالحديث عن تراخي العثمانيين وخاصة في عهد الاتحاديين الأتراك بعد سنة 1908 و إهمال تحصين الولاية ، وتأهيلها لمواجهة الأطماع الاستعمارية الأوروبية في هذا الجزء الباقي للدولة العثمانية في شمال إفريقيا ، خاصة أن عملية التمهيد السلمي للاحتلال الإيطالي لليبيا قد شهدت تأمرا من بعض الولاة العثمانيين الذين ساندوا وساعدوا تلك العمليات ، وعلى رأس هؤلاء الوالي حسن حسني باشا الذي عين واليا على ولاية طرابلس الغرب سنة 1903 وصفه الزاوي بأنه " ضعيف الإدارة ، تركيا بجنسيته

، إيطاليا بروحه و أعماله ، وكان من معاون السياسة الإيطالية الهدامة ، قضى على كل ما تبقى في طرابلس من أسباب مقاومة السياسة الإيطالية " ²³.

وتنحصر الأحداث الرئيسية التي وقعت خلال هذه الفترة الأخيرة من عمر ولاية طرابلس الغرب فيما بدلته الدولة العثمانية من مجهودات لتوطيد سيطرتها التي أخذت تشعر شيئا فشيئا بأنها مهددة ، كما تمثل في محاولاتها في التغلغل صوريا على الأقل في المناطق الصحراوية ²⁴.

وهكذا لم يرتبط الحكم العثماني في ليبيا بسياسة واضحة ومرسومة لحكم البلاد وتنميتها والأخذ بيدها ، بل كان هذا الحكم في مجمله غير قادر على إدارة هذه البلاد بطريقة سليمة ²⁵.

2) - الأوضاع الاقتصادية :

أ) - الزراعة :

تتفق جميع التقارير التي كتبها القناصل ، خلال الأعوام الأخيرة من العهد العثماني بليبيا على القول بأن إنتاج الأرض الليبية لا يسد الحاجات الضرورية المحدودة لسكانها القليلين ، وقد تضافرت أربعة عوامل على تحديد هذا الوضع وهي :

- قلة المياه.
 - قلة الأيدي العاملة.
 - الإهمال التام لهذا المرفق من قبل السلطات المحلية.
- ويمكن أن نضيف إلى هذه العوامل عاملين آخرين يرددها بعض الاقتصاديين الذين زاروا ليبيا قبل عدّة أعوام من الاحتلال الإيطالي وهما :
- الضرائب الباهظة المعمول بها .
 - جمع الخلفاء الذي يذر ربما معقولا مقابل مجهود محدود ، مما أدى إلى انتزاع عدد لا يُستهان به من العناصر الصالحة للزراعة ²⁶.

انقسمت الزراعة في طرابلس إلى قسمين :

قسم يشمل أصحاب البساتين الكبيرة و الأراضي المجاورة لطرابلس ، و أصحاب الآبار والمياه ، وكان إنتاج هؤلاء يزيد عن حاجات الأهالي ، ويصدر الفائض منها إلى موانئ إسبانيا عن طريق البحر ، وقد تمثل هذا الإنتاج في أنواع من الفاكهة والحمضيات ، وأنواع عديدة من الزيتون ²⁷.

أما القسم الآخر وهم أصحاب الأراضي من العرب اللذين يأنفون العمل بالزراعة مع أن أراضيهم كانت جيدة وفي غاية الخصوبة ، ونظرا لعدم تطوير أساليب الزراعة البدائية في طرابلس وعدم اهتمام سلطة الحكومة بأمور الفلاحين مال العديد من الأهالي إلى التجارة أكثر من ميلهم إلى الزراعة .

إن الحكومة العثمانية لم تفعل شيئا سواها في طرابلس أو برقة لتحسين طرق المواصلات بين المدن الساحلية ومراكز الإنتاج الزراعي ، ولم تتخذ أي إجراءات بإنشاء مخازن للحبوب لتخزينها فائض السنوات الخصبة للاستفادة منه في مواجهة سنوات الجفاف²⁸ .

كان المورد الرئيسي للثورة في ليبيا في القرن التاسع عشر الحبوب والحيوانات والتجارة²⁹ ، وتحتل زراعة الشعير المكان الأول في إنتاج الحبوب ، ثم يأتي القمح بعده في الترتيب ، كما تزرع الذرة وكذلك البشنة ، وقد كان الشعير الليبي مطلوبا في الخارج ، وخاصة في إنجلترا، حيث يصنع منه الخمر³⁰ .

أما الإنتاج الحيواني فيتمثل في الأغنام والماعز والأبقار والإبل ففي الأعوام من 1908 إلى 1911 حل الجفاف بالبلاد وساءت الأحوال الاقتصادية فنقص دخل الولايات من الضرائب وواجه المواطنون حالات جوع وجفاف كثيرة أدت إلى هجرة العديد من السكان كما أجبرت الآخرين على الاقتراض بفوائد مالية و أحيانا ببيع ممتلكاتهم³¹ .

ب)- الصناعة : كانت الأوضاع الصناعية بولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي في سنة 1911 ، أي سنة وقوع الاحتلال الإيطالي سيئة ، ولا ريب في أنها قد ساءت وتدهورت عما كانت عليه في العهود الماضية التي كان القناصل الإيطاليون (موتا) 1898 و (ميدان) سنة 1903 يتحدثون عنها في تقاريرهم إلى وزارة الخارجية الإيطالية ، ولم يحدث أي عامل جديد خلال الفترات التالية يكون من شأنها تحسين الحياة الاقتصادية في هذه البلدان ، وحتى الصناعات التي عرفت في الماضي نوعا من الازدهار قد انتهت إلى الانهيار ، بتأثير الركود العام في مجال الأعمال العامة³² .

و أهم الصناعات الطرابلسية والبرقاوية في العهد السابق للاحتلال الإيطالي هي : صناعة النسيج ، الحصر ، الدباغة ، الصابون وصناعات أخرى³³ ، ويمكن القول بشكل تجريبي ، إنه في سنة 1911 ، أي عند وقوع الاحتلال الإيطالي كانت المصنوعات المحلية في مجموعها تدر دخلا سنويا يقدر بحوالي خمسة ملايين ليرة³⁴ .

لقد تردد الاستنكار وما يزال يتردد حول تقاعس الحكومة العثمانية وحمولها أثناء سيادتها على ليبيا ، إلا أنه من الضرورة أن ندرك ما ينطوي عليه ذلك من مبالغة وتحويل ، وأنه من الحق أن يقال إنه ابتداءا من سنة 1903 كانت هناك يقظة معينة في أوساط الإدارة العثمانية ن وقد اتخذت عدّة إجراءات مختلفة متنوعة لصالح المقاطعتين، ولكن تغير الأوضاع التجارية مع مناطق إفريقيا الوسطى قد حملت ضربتها الحتمية للصناعات المحلية التي كانت تعيش على تلك التجارة ، وقد كان لهذه الصناعات ولو بشكل محدود أثر دائم على الوضع الاقتصادي في أرجاء هذه البلاد.

وقد وجدت في ليبيا العديد من الصناعات اليدوية منها صناعة المنسوجات وصياغة الذهب والفضة وغيرها من الصناعات التقليدية ولم تكن هذه الصناعات ذات أهمية بالنسبة للاستعمار الأوروبي وذلك نظرا للتقدم الصناعي في أوروبا في ظل أوروبا في ظل الثورة الصناعية وربما أن الإيطاليين عمدوا على التدخل السلمي في البلاد عن طريق النشاط التجاري والصناعي فقد وجدوا ضالتهم لتحقيق أهدافهم الاقتصادية والاستعمارية وذلك بتشجيع المواطنين ومنحهم القروض البسيطة ذات الفوائد العالية وقد عملت الحكومة التركية على الحد من نشاط هذا المصرف³⁵ وخاصة في عهد الوالي إبراهيم باشا (1909-1911) ، وقد استمر هذا المصرف يزاو أعماله رغم الاحتجاجات التي صدرت ضده حتى بدأ الغزو فكان له مساهمة فعالة في تموين الحملة العسكرية ضد البلاد الليبية³⁶.

ج- التجارة : كانت طرابلس الغرب قبل الاحتلال الإيطالي تصدر الأبقار ، الخيل ، الصوف ، شعر الماعز ووبر الإبل ، أو بعبارة أخرى المنتجات الرعوية ، وتصدر أيضا التمر والقمح ، أي المنتجات الزراعية البدائية ، ويشترى سكانها مواد غذائية من أوروبا ، مما يدل على ضعف وضآلة الإنتاج الزراعي ، كما يشترون أيضا من الأسواق الأوروبية بعض المنتجات الحريرية والقطنية وبعض المصنوعات الأخرى ، ولذلك كانت التجارة محدودة ، أما التجارة المحلية في طرابلس وبنغازي فقد كانت مقتصرة بصفة رئيسية على تبادل البقول والتمر والزيت والحيوانات من منتجات السواحل والدواخل³⁷.

كانت ثلاث أرباع المصدرات تقريبا تصدر إلى إنجلترا ومالطا ، وكان خمس الواردات من إنجلترا ، و أكثر من ربعها من تركيا وحوالي تسع الواردات من إيطاليا وفرنسا وتونس³⁸.

أخذت تجارة القوافل عابرة الصحراء مع طرابلس تنقل من سنة إلى أخرى ، بقدر ما أخذت الأبواب تفتح لتجارة السودان مع سواحل المحيط الأطلسي ، ولم تعد تصدر إلى طرابلس تقريبا تلك السلع الإفريقية التقليدية كالعاج وريش النعام ، وأخذت الدول الأوروبية على الخصوص تضيق على تجارة الرق والنخاسة وصارت تعرقلها شيئا فشيئا ، مما تسبب في إنضاب معين أحد أهم موارد طرابلس الغرب ، أما بنغازي التي لم تتضرر كثيرا بهذه الإجراءات ، فقد احتفظت ببعض علاقاتها التجارية مع وداي ، هذا وإن كان تغلغل فرنسا في منطقة تشاد قد حرمها هي الأخرى من مواصلة الاتجار في العبيد³⁹ ، وقد فقدت فزان هي الأخرى في مستهل القرن العشرين أهميتها التجارية بصفة تكاد تكون كاملة ، بعد إلغاء تجارة الرقيق وضعف الاهتمام بالبحث عن ريش النعام بسبب منافسة البلدان الأخرى والأحداث السياسية التي غيرت الوضع في المناطق المحيطة ببحيرة التشاد⁴⁰.

وفي هذا الصدد حاولت الحكومة العثمانية تنشيط الحركة التجارية مع دول الجوار ولا سيما تونس ومصر وذلك عن طريق بعض الموانئ الساحلية ، في هذا الوقت بدأت إيطاليا تحضى بنصيب الأسد من التبادل التجاري وذلك بتوقيع الاتفاقيات عن طريق مصرف روما الذي حاول أن يرتبط ببعض

أعيان البلاد ويستخدمهم في تحقيق أهدافه ، ومعظم التبادل التجاري كان يتم في الغالب بين تجار من أفراد الجالية اليهودية والجالية الإيطالية و أن التجار الليبيين لم يكن لهم الدور البارز في تلك الفترة وذلك نظرا لقلّة عددهم وإمكاناتهم المادية البسيطة⁴¹.

فتحولت طرابلس وبرقة في بداية القرن العشرين إلى أشبه مستعمرة إيطالية ، فقد كانت حتى سنة 1908 تحتل المركز الثاني بعد بريطانيا في التجارة ، حيث كانت تصدر إليها البضائع والسيج والرخام والنبذ والسكر والجن والورق⁴².

3- الأوضاع الاجتماعية والثقافية :

أ- الاجتماعية : بلغ عدد سكان طرابلس الغرب سنة 1911 حوالي المليون نسمة :
- طرابلس تعدادها حوالي 580000 منهم : 126000 شبه رحل و 86000 رحل⁴³.
أما برقة بلغ عدد سكانها حوالي 200000 أغلبهم رحل وأشباه رحل ، ولكن تعداد المدن بقي صغيرا حوالي 190000 في بنغازي و 10000 في درنة.

يلاحظ أن تعداد البدو الرحل وشبه الرحل مثل غالبية سكان الولاية باستثناء مدينة طرابلس⁴⁴.
التركيب الحضري في المدن شمل طبقة الأعيان (تجار ، إداريون ، علماء دين وحرفيين) ، أما المناطق الداخلية عاش فيها التجار ، الفلاحون ، العبيد والقبائل⁴⁵.

شكلت القبيلة الطرابلسية وحدة سياسية اقتصادية واجتماعية مبنية بشكل أساسي حول عيلة يرأسها رجل يتبعه الأطفال والنساء ، وهذه العائلات تكون عشيرة أو لحمة ، والعشائر تكون قبيلة ، والقبائل المتحالفة تكوّن صفا⁴⁶.

ب- الثقافية : ظلت ليبيا خالية من المدارس العامة والتعليم النظامي حتى سنة 1895 ، ولم تكن ثمة مدارس أو معاهد نظامية أهلية ، وقد كان النوع الوحيد من التعليم الذي يقدم إلى الأطفال هو القراءة والكتابة العربية وفقا للطريقة التقليدية العتيقة ، ويقوم التعليم كله حول القرآن ، يلتن في المدارس التقليدية المعروفة باسم الكتاب⁴⁷.

وبعد فترة طويلة من الركود الثقافي والفكري شهدت البلاد أواخر العهد العثماني بعض التطور الثقافي والفكري إذ انتشر التعليم الديني على نطاق واسع حتى عم جميع المناطق وذلك عن طريق الكتاتيب والمساجد والزوايا المقامة على أغلب التراب الليبي ، وظهرت كذلك المدارس ورياض الأطفال على النظام الحديث⁴⁸ ، حيث أنشأت الحكومة العثمانية بطرابلس وبنغازي ودرنة والخمس بعد سنة 1895 مدارس نظامية تقوم بالتعليم وفقا لأحدث النظم العصرية ، فسجل التعليم العام تقدما ملحوظا خلال الأعوام الإثني عشر الأخيرة من العهد العثماني⁴⁹.

لم يقتصر هذا الاهتمام على العثمانيين فقط ، بل قامت أيضا إيطاليا بإنشاء العديد من المدارس وتمويلها فأنشأت مدرسة فنية تجارية ومدرستين ابتدائيتين واحدة للبنين وأخرى للبنات وروضة أطفال للبنين والبنات⁵⁰.

خاتمة :

يتضح من خلال ما سبق أن أوضاع ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي لم تكن بأحسن حال ، خاصة أمام الخطر الأوروبي المهدق بها ، فرغم استعادة الدولة العثمانية السيطرة عليها إلا أنها لم تعين لها ولاية مقتدرين للنهوض بها ، وما زاد من الهوة بين السلطة العثمانية والشعب الطرابلسي سياسة التتريك التي اتبعتها حكومة الاتحاديين بعد انقلاب عام 1908 ، فعدم الاهتمام بتحصينها وسحب السلاح والجنود الموجودين بها وتغلغل النفوذ الإيطالي بها سهّل احتلالها عام 1911، لم يقتصر تردي الأوضاع على الجوانب السياسية بل تعداها إلى الاقتصادية بعد العجز عن تلبية حاجات سكان البلاد والاكتفاء بتصدير المنتجات الرعوية وتراجع دور الطرق التجارية الصحراوية بفعل الأوضاع السياسية جنوب الإيالة، ورغم الانتعاش الثقافي بعد سنة 1895 بفعل المؤسسات الثقافية الحديثة إلا أنها لم تشمل كافة الشعب الليبي الذي بقي في تنظيم اجتماعي قائمة على القبيلة ، وبالتالي لم يتم تحصين الإيالة بالشكل اللازم الأمر الذي جعلها تسقط في يد الاحتلال الإيطالي عام 1911.

التهميش :

- 1- تشكلت ليبيا الحديثة بحدودها المعروفة الآن في ظل الاستعمار الإيطالي ، وفي العهد السابق لم يكن استخدام كلمة ليبيا شائعا بل تعرف بولاية برقة وطرابلس أو إيالة طرابلس الغرب ، وفي العهد العثماني كانت إدارة الولايتين مقصورة تقريبا على المناطق الساحلية ، ينظر : صلاح العقاد ، ليبيا المعاصرة ، المطبعة الفنية الحديثة ، 1970 ، ص 05.
- 2- يحي جلال ، المغرب الكبير ، الفترة المعاصرة وحركات التحرر و الاستقلال ، ج3 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص 61.
- 3- مجموعة من الأساتذة ، معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا ، ط1 ، دار الكتب الوطنية ، القاهرة ، 2008 ، ص 114.
- 4- نقولا زيادة ، ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال ، منشورات معهد الدراسات العالية لجامعة الدول العربية ، المطبعة الكمالية ، القاهرة ، 2008 ، ص 114 .
- 5- سامي هشام خيمالة ، موقف الدول الأوروبية من الحرب الإيطالية الليبية 1911-1912 م ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث ، جامعة سانت كلمنت ، بغداد ، العراق ، 2010 ، ص 26 .
- 6- مراجع إبراهيم عبد السيد السنوسي ، المقاومة الليبية للغزو الإيطالي في الفترة 1911-1918 في مدن شرق ليبيا ، دراسة تحليلية ، رسالة ماجستير ، معهد البحوث ودراسات العالم الإسلامي ، جامعة أم درمان الإسلامية ، جمهورية السودان ، 2012 ، ص 22.
- 7- بنغازي أو " بني غازي " هي مدينة من برقة كاتبة شرق طرابلس وعلى الساحل الشرقي من خليج سدراتة ، بعدها عن طرابلس نحو ستمائة وخمسين ميلا ، ينظر: أحمد بك النائب الأنصاري ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ج1 ، منشورات مكتبة الفرجاني ، ليبيا ، ص 287 .

- 8-- فرانشيسكو كورو ، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني ، تعريب خليفة محمد التليسي ، الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، 2003 ، ص 27-28 .
- 9- محمود حسن صالح منسى ، الحملة الإيطالية على ليبيا دراسة وثائقية في إستراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ، 1980 ، ص 4-5 .
- 10- ولد السلطان عبد الحميد يوم الأربعاء 11 ديسمبر 1842 ، وهو ابن السلطان عبد الحميد ، فقد أمه وعمره لا يتجاوز 7 سنوات ، تعلم اللغتين العربية والتركية ، ودرس الكثير من الكتب الأدبية على يد أساتذة مختصين ، بوع بالخلافة في 1876 وعمره أربعة وثلاثين سنة ، وخلع السلطان عبد الحميد في 1909 ، توفي في 10 فيفري 1918 ، ينظر : عبد الحميد الثاني ، مذكرات عبد الحميد الثاني 1851-1905، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1989 ، ص 11-15 .
- 11- عبد المنعم إبراهيم الجميبي ، الدولة العثمانية والمغرب العربي ، القاهرة ، 2005 ، ص 38 .
- 12- برقة هو الاسم الذي سمي به العرب البلاد وبقيت محتفظة به إلى اليوم ، وهي المنطقة الواقعة بين عقبة السلوم شرقا وحدود طرابلس غربا ، ينظر محمد كمال ، ليبيا الشقيقة ولاية برقة ، ط 1 ، دار الهناء ، مصر ، 1955 ، ص 13 .
- 13- إتوري روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 ، ط 2 ، ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسي ، الدار العربية للكتاب ، 1992 ، ص 488 .
- 14- أنور الجندي ، تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ص 89 .
- 15- فزان : هي عدّة واحات واقعة جنوبي مدينة طرابلس بنحو 980 كلم ، و أصلها من مواطن البربر القديمة ، ينظر الطاهر أحمد الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، ط 1 ، مكتبة النور ، طرابلس ، 1986 ، ص 56 .
- 16- محمود حسن صالح منسى ، المرجع السابق ، ص 07 .
- 17- إتوري روسي ، المصدر السابق ، ص 489 .
- 18- شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، ط 1 ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1977 ، ص 207 .
- 19- سامي هاشم خيالة ، المرجع السابق ، ص 27-28 .
- 20- الطاهر أحمد الزاوي ، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ، ط 3 ، الناشر دار في المحدودة ، 1984 ، ص 30 .
- 21- صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص 27-28 .
- 22- سامي هاشم خيالة ، المرجع السابق ، ص 28 .
- 23- فاتح رجب قدارة ، الدولة العثمانية في آثار الشيخ الطاهر الزاوي ، المجلة الجامعة ، جامعة الزاوية ، ليبيا ، العدد السادس عشر ، المجلد الرابع ، نوفمبر 2014 ، ص 25 .
- 24- شارل فيرو ، الحوليات الليبية من الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي ، جامعة قار بونس ، بنغازي ، 1994 ، ص 523 .
- 25- عبد المنعم إبراهيم الجميبي ، المرجع السابق ، ص 42 .
- 26- فرانشيسكو كورو ، المرجع السابق ، ص 42 .
- 27- عبد المنعم إبراهيم الجميبي ، المرجع السابق ، ص 42 .
- 28- فرانشيسكو كورو ، المرجع السابق ، ص 92 .
- 29- صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص 60 .
- 30- فرانشيسكو كورو ، المرجع السابق ، ص 93 .
- 31- مراجع إبراهيم عبد السيد السنوسي ، المرجع السابق ، ص 63 .
- 32- فرانشيسكو كورو ، المرجع السابق ، ص 63 .
- 33- المرجع نفسه ، ص 64 .

- 34- المرجع نفسه ، ص 72 .
- 35- بنك روما الذي اتجه بنشاطه نحو ولاية طرابلس الغرب العثمانية بعد أن أنشأ له فروعاً بمدينة الإسكندرية سنة 1905، ودعم مركزه عن طريق مشاركته في بنك إثيوبيا سنة 1906م ، وكذلك بنك الدولة في مراكش ، ثم تأسس له فرعان في طرابلس وبنغازي 1907م ، وأسندت إدارته في المنطقة للاقتصادي برالياني ، وهو من أشد المتعصبين للعرب ، ينظر : عبد المنصف حافظ البوري ، الغزو الإيطالي لليبيا ، دراسة في العلاقات الدولية ، الدار العربية للكتاب ، 1983 ، ص 271 .
- 36- مراجع إبراهيم عبد السيد السنوسي ، المرجع السابق ، ص 24 .
- 37- فرانثيسكو كورو ، المرجع السابق ، ص 73-74 .
- 38- إتوري روسي ، المصدر السابق ، ص 490 .
- 39- شارل فيرو ، المصدر السابق ، ص 528 .
- 40- إتوري روسي ، المصدر السابق ، ص 492 .
- 41- مراجع إبراهيم عبد السيد السنوسي ، المرجع السابق ، ص 24 .
- 42- سامي هاشم خيالة ، المرجع السابق ، ص 29 .
- 43- علي عبد اللطيف حميدة ، المجتمع الدولة والاستعمار في ليبيا دراسة في الأصول الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لحركات وسياسات التواطؤ ومقاومة الاستعمار 1830-1932 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1998 ؛ ص 99 .
- 44- المرجع نفسه ، ص 37 .
- 45- المرجع نفسه ، ص 76 .
- 46- المرجع نفسه ، ص 78 .
- 47- فرانثيسكو كورو ، المرجع السابق ، ص 99 .
- 48- مسعود عبد الله مسعود ، ملامح الحياة الفكرية والثقافية في ليبيا أواخر الحكم العثماني حتى الاحتلال الإيطالي سنة 1911 ، مجلة الجامعة ، العدد الخامس عشر ، المجلد الثالث ، جامعة الزاوية ، 2013 ، ص 132 .
- 49- فرانثيسكو كورو ، المرجع السابق ، ص 100 .
- 50- عبد المنعم إبراهيم الجميحي ، المرجع السابق ، ص 50 .

